لغز المُهرِّب الدولي



محمود سالم

لغز المهرِّب الدولي

تأليف
محمود سالم



لغز المُهرِّب الدولي

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٣٧٦ ٦

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

المحتويات

الطريق إلى بحيرة «قارون»

لم تكدْ إجازة نصف السنة تبدأ حتى كان «المغامرون الخمسة» يبدءون رحلتهم إلى شاطئ بحيرة «قارون»، في محافظة الفيوم. وكان صديقهم وزميلهم في الدراسة «عواد» قد دعاهم إلى قضاء الإجازة في قريته الصغيرة «شكشوك» التي تقع على شاطئ البحيرة.

لقد قال لهم «عواد»: إن منطقة «قارون» تتمتع بجوٍّ دافئ في الشتاء؛ حيث لا تسقط الأمطار إلا نادرًا، وحيث يُمكنهم اصطياد السمك، وأكثر من هذا مشاهَدة صيد الطيور المهاجرة التي تأتي إلى مياه البحيرة الدافئة في فصل الشتاء من شمال أوروبا البارد باحثة عن الدفء.

كان الجميع في حالة ابتهاج بالغة؛ فهذه أول مرة يزورون فيها هذه المنطقة، وكانت فكرة المشاركة في صيد الطيور تَستثير خيالهم، وبخاصة أن «عوض» الأخ الأكبر لـ «عواد»، من صيادي الطيور. وبدأت الرحلة من ميدان التحرير حيث تقف أتوبيسات الفيوم. وقد استيقظ الأصدقاء مُبكِّرين حتى يُمكنهم اللحاق بأتوبيس الساعة السابعة صباحًا الذي يمرُّ قريبًا من «شكشوك»؛ إذ إنَّ القرية ليست على خط السكة الحديد.

واستطاع الأصدقاء أن يجدوا أماكن مناسبة، وفي السابعة تمامًا كان الأتوبيس يحملهم إلى المتعة والإثارة والمغامرة. وما إن قطعوا شارع الهرم، وبدءوا السير في طريق الفيوم حتى أخرجت «نوسة» الساندوتشات التي أعدتها لهم وأخرجت «لوزة» تُرمس الشاي الساخن ... فلم يكن أحد منهم قد استطاع تناول الإفطار في هذه الساعة المبكرة.

قال «محب»: إن طريق الفيوم طوله نحو ١٠٠ كيلومتر تقطعها السيارة في نحو ساعتين ... أي إننا سنكون عند «عواد» الساعة التاسعة تقريبًا ...

لوزة: إن «عواد» ولد لطيفٌ ... لقد سبَقنا في السفر بيومٍ حتى يكون في استقبالنا، وهذا سلوك طيب حقًّا.

تختخ: لهذا أعددت بعض الهدايا البسيطة لأسرته، وبخاصة لأخيه الصغير «كريم».

عاطف: وهل نَقضي الإجازة كلها هناك يا «تختخ».

تختخ: إذا كانت الإقامة ممتعة والجو جميلًا فلماذا لا نقضي الإجازة كلها هناك. ولا سيما أننا قد أحضرنا معنا كتبنا للمذاكرة.

لوزة: إن البقاء هناك متوقف على وجود مغامرة مشوقة. فهل نجد هناك مغامرة؟

ضحك الجميع كما اعتادوا أن يَضحكُوا من هذه الجملة الخالدة التي تقولها «لوزة» في كل إجازة ... ثم أخذوا يتطلعون إلى الطريق الصحراوي حولهم، والسيارة الضخمة تشق طريقها مُسرعة؛ فليس هناك محطات بين القاهرة والفيوم.

وانقضَت الساعتان سريعًا، ووصلت السيارة إلى نهاية الطريق الصحراوي حيث توجد نقطة للمرور ... والمُعتاد أن ينظر شرطي المرور إلى السيارة ويُسجِّل رقمها ... ولكن الركاب جميعًا فوجئوا بأن الطريق مسدود ... وسيارات كثيرة تقف للتفتيش في طابور طويل ... وكان هناك عدد كبير من ضباط الشرطة وجنودها وسيارتان للاسلكي ... وكان واضحًا أن هناك إجراءات تفتيش دقيقة لسبب لا يعلمه أحد.

وقفت السيارة الأتوبيس في الطابور. وجلس الأصدقاء ينظرون حولهم في ضيق، فهذه إجراءات سوف تُعطِّلُهم عن موعدهم مع صديقهم «عواد» الذي يَنتظرهم عند فندق «الأوبرج». على شاطئ البحيرة، ليدلَّهم على الطريق إلى منزله.

بعد حوالي نصف ساعة تقدمت السيارة الأتوبيس إلى التفتيش، وصعد إليها عدد من رجال الشرطة، أخذوا ينظرون في وجوه المسافرين نظرات فاحصة، وطلبوا من بعض الأشخاص إخراج بطاقاتهم الشخصية.

كان الأصدقاء يتابعون التفتيش بانتباه شديد. وقد بدَت مشاعرُهم المُحبة للمغامرة تستيقظ، فرجال الشرطة لا يقومون بهذا البحث الدقيق إلا إذا كان هناك شيء أو شخص مهم يبحثون عنه. وعندما اقترب الضابط من المغامرين الخمسة قال له «تختخ»: هل تبحثون عن شخصٍ هارب؟ ردَّ الضابط الذي كان يبدو مُجهَدًا: آسف، ليس من مصلحة العمل أن أُصرِّح بشيء.

ولم يكد الضابط ينتهي من جملته، حتى صدرت عن «لوزة» صرخة صغيرة جعلت الركاب جميعًا ينظرون إليها، والأصدقاء أيضًا ... والتفتوا إليها مندهشين، فقالت في خجل وسرعة: المُفتِّش «سامي»! ...

قال شقيقها «عاطف» مُتضايقًا: ماذا جرى؟ وما سبب الحديث عن المفتش «سامي» الآن؟

لوزة: إنه هنا داخل كشك المرور ... لقد لمحتُه!

تختخ: المفتش «سامي» هنا؟ شيء مُدهش جدًّا، لا بدَّ أن المسألة في غاية الأهمية، ولا بد أن نَراه.

كان التفتيش ما زال مُستمرًّا، وانتهز «تختخ» الفرصة وأسرع بالنزول واتجه فورًا إلى الكشك الخشبي مُحاوِلًا مقابلة المفتش، ولكن الرجال بالباب منَعُوه، مُعتذِرين بأن المفتش مشغول جدًّا.

وقف «تختخ» حائرًا، فقد كاد التفتيش ينتهي، والسائق قد أدار موتور السيارة مُستعدًّا للتحرك ... وبسرعة أخرج من جيبه ورقة صغيرة انتزعها من كراسة مذكراته التي يحملها دائمًا في جيبه، ثم كتب رسالة قصيرة إلى المفتش ذكر فيها عنوان المكان الذي سينزلون فيه، ثم قدمها إلى أحد الضباط، وأسرع إلى السيارة التي كانت قد تحرَّكت فعلًا.

بعد حوالي ربع ساعة كانت السيارة قد اقتربت من «أوبرج الفيوم» حيث كان «عواد» ينتظر ... ونزل الأصدقاء واستقبلهم صديقهم بترحيب شديد.

كان معه شقيقه الكبير «عوض» وشقيقه الصغير «كريم» الذي كان يُمسك خروفًا أبيض صغيرًا يُلاعبُه وكان «عواد» قد أعدَّ لهم بعض الحمير لَيركبوها، ولكن الأصدقاء عندما علموا أن المسافة لا تزيد على ثلاثة كيلومترات فقط فضَّلُوا السير، بعد أن وضعوا حقائبهم على أحد الحمير.

كانت بحيرة «قارون» تمتد تحتَهم إلى حافة الصحراء الغربية ... والهواء باردًا منعشًا والشمس نصف مُختفية خلف السحاب الرقيق.

قال «عوض»: إنَّ اسم بحيرة «قارون» مرتبط بـ «قارون» وهو من وزراء الفراعنة، وقد سُمِّيت البحيرة باسمه، ويُضرَب به المثل في الغنى؛ فيُقال أغنى من «قارون» كما أنه كان عالمًا في علم الكيمياء، ويُعدُّ مؤسسًا له، أما البحيرة فهي بُحيرة شديدة الملوحة لكثرة البخر الذي يتصاعد منها.

لوزة: وكم تبلغ مساحتها؟

عوض: مساحتها ٢٣٥ كيلومترًا مُربعًا ... وهي البقية الباقية من بحيرة «موريس» القديمة التي كان الفراعنة يستعملونها في تخزين مياه النيل ... وتقول الأساطير إنَّ كنز «قارون» مدفونٌ في قاعها ...

تختخ: أعتقد أنَّ هناك قصرًا يُدعى قصر «قارون» أيضًا.

عوض: فعلًا ... وهو يقع على بداية الطريق إلى الواحات البحرية ... وبه بقايا معبد للمعبود «خنوم آمون»، وقد عُثر فيه على آثار كثيرة وأوراق برديٍّ إغريقية وغيرها ...

كان الحديث مُمتعًا. والجو بهيجًا، فأحس الأصدقاء بأن كل شيء جميل ورائع ... ثم تذكَّر «تختخ» نُقطة شرطة المرور ... والتفتيش الدقيق الذي كان يقوم به رجال الشرطة، فسأل «عوض»: هل تعرف شيئًا عن هذا التفتيش الذي يقوم به رجال الشرطة في الطريق؟

عوض: لا أعلم لماذا ... ولكنني علمت من القادمين قبلكم بهذا الموضوع. لا أحد منهم يعرف شيئًا، كما أن رجال الشرطة لا يُصرِّحون بشيء.

محب: لعلَّه مجرم هارب من العدالة.

تختخ: إنَّ هذه الإجراءات المشددة لا تُتَّخذ من أجل مجرم عادي. لا بد أنه مجرمٌ خطير.

وصل الأصدقاء إلى عزبة «عواد»، وكانت مكوَّنة من خمسين فدانًا مزروعة، يتوسطها قصر قديم تُحيط به حديقة واسعة حولها أجران القمح. حيث تقف الأبقار والخيول والحمير ... ويجري الدجاج والبط ... كانت صورة ريفية وقف الأصدقاء يتأمَّلونها في إعجاب ... فأشار «عواد» إلى جناح منفرد في القصر قائلًا: هذا هو المكان الذي اخترتُه لكم.

شكر الأصدقاء «عواد» على عنايته ... وتقدم عدد من الفلاحين والفلاحات يُسلِّمون على الأصدقاء ويُرحِّبون بقدومهم ... وكان «كريم» يجري في الحقل خلف خروفه الصغير تتبعه «لوزة» في مرح؛ وفي هذه اللحظة سمع الجميع صوت سيارة قادمة تُسابق الريح ... فالتفت الجميع إليها وانتظروا أن تمرَّ بهم لكنها وقفت قريبًا منهم ... ونزل منها المفتش «سامي»، وقد بدا عليه الإرهاق الشديد!

الطيور المهاجرة

تقدم الأصدقاء يُرحِّبون بالمفتش الذي سلَّم عليهم قائلًا: أيُّ ريح ألقت بكم إلى هذا المكان؟ من غير المعقول أن تكونوا قد شممتُم رائحة المغامرة فجئتم خلفها!

قال «تختخ» مبتسمًا: لقد جئنا للحياة في الريف قليلًا بدعوة من صديقنا «عواد» وفي الوقت نفسه لمشاهدة طريقة صيد الطيور المهاجرة إلى بلادنا.

المفتش: إنني أيضًا أطارد طيرًا مُهاجِرًا من بعيد، جاء إلى بلادنا هاربًا من أوروبا.

محب: طير مُهاجر؟! هل أنت أيضًا يا سيادة المفتش من هُواة صيد الطيور؟

عاطف: طبعًا ... لكنها ليست طيورًا من النوع الذي يستعمل جناحيه، لا بد أنه من النوع الذي يستعمل عقله.

المفتش: تمامًا ... إنه مُهربٌ دوليٌّ استطاع أن يُدوِّخ شرطة أوروبا كلها، وجاء إلى بلادنا وخلفه عدد من رجال «الإنتربول»؛ أي البوليس الدولي يُحاولون القبض عليه ... ونحن نساعدهم لأن مصر عضو في «الإنتربول».

تختخ: لقد قلت إن هذه الإجراءات المشددة لا تُتَّخذ من أجل مُجرِم عادي!

المفتش: تمامًا إنه مُجرِم خطير ... يُجيد عدة لغات من بينها العربية. وهو عضو في عصابة عالمية لتهريب الذهب والماس وكل شيء يُمكن تهريبه، وقد دخل بلادنا باسم «جون كنت» منذ أسبوع؛ ثم جاءتنا إشارة من البوليس الدولي بطلب القبض عليه، وجاء بعد الإشارة عدد من رجال البوليس الدولي لمشاركتنا في مطاردته.

نوسة: وهل وصل إلى الفيوم أيضًا؟

المفتش: لقد استطعنا معرفة مكانه في القاهرة، وعندما هاجمنا الشقة المفروشة التي يقيم فيها استطاع الفرار من النافذة، ثم شُوهد في سيارة تقطع شارع الهرم في طريقه

إما إلى الإسكندرية أو الفيوم، فوضعنا له كمينًا عند نفق الجيزة حتى لا يعود إلى القاهرة، ووضعنا له كمينًا في مدخل الطريق الصحراوي عند الإسكندرية، وهذا الكمين عند مدخل الفيوم؛ فهو الآن مُحاصَر من ثلاث جهات.

تختخ: وهل هناك معلومات عن سب حضور «كنت» إلى بلادنا؟

المفتش: نعم ... وإن كانت معلومات غير مؤكَّدة، لقد اختفت منذ فترة مجموعة من التماثيل الفرعونية الثمينة من مكانها، وقد تمَّت سرقتها بطريقة فنية نادِرة، ولم نستطع الاهتداء إليها أو إلى سارقيها حتى الآن، وإن كنَّا نؤكِّد أنها لم تخرج من مصر، لأننا فرضنا حراسة جيدة وتفتيشًا دقيقًا على المسافرين خارج البلاد ... لهذا نشكُّ أن «كنت» قد حضر لتهريب هذه التماثيل خارج البلاد.

ساد الصمت بين الجميع لحظات، وسمعوا صوت طائرة صغيرة تَطير على ارتفاع مُنخفِض، وتخرج منها سحابة من الدخان فقالت «نوسة»: ما هذا؟

رد «المفتش»: إنها طائرة لرش المبيدات الحشرية، وهي أفضل طريقة لقتْل الحشرات الضارة بالمزروعات في مساحات واسعة وبسرعة.

واقتربت الطائرة منهم، ثم تجاوزتْهم مُسرعة، وعادوا إلى الحديث عن المهرِّب.

فقال «تختخ»: إن «كنت» طبعًا لا يعمل وحده فما دام هناك لصوص قد سرقوا التماثيل، وجاء هو لتهريبها، فهذا يعني أن هناك أعوانًا له في بلادنا ...

قال «المفتش»: طبعًا، ونحن مُتأكِّدون أنها عصابة قوية؛ لأنها تتعامل في مئات الألوف من الجنيهات ...

وانضمَّت «لوزة» إلى المجموعة ومعها «كريم» الصغير وخروفه، وسلمت على المفتش في حرارة، وروى لها «تختخ» قصة المهرب بسرعة، ثم أحضر «عواد» بعض الكراسي، وجلس الجميع تحت شجرة توت كبيرة، وأخذوا يتحدثون عن المهرب وأوصافه وطرق تنكُّره البارعة، التي لا يستطيع أحد اكتشافها، وابتكاره لأساليب التهريب الغريبة التي تُحيِّر رجال الشرطة.

لوزة: كم أتمنَّى أن أقبض أنا على هذا المهرب ... فسوف أصبح في هذه الحالة أبرع من جميع مُخبري العالم!

ضحك «المفتش» قائلًا: فعلًا وسيُكتَب اسمك ف «الإنتربول» ... وتُنشَر صورتك واسمك في المجلات والصحف العالمية.

صاحت «نوسة»: بل أنا التي سأقبض عليه.

قال «المفتش» وهو يقف مُستعدًّا للرحيل: سأعطي من يقبض عليه هدية قيمة، ولكن لماذا تفكرون أنه سيصل إلى هنا؟! إننا نفتش كل سيارة تصل إلى محافظة الفيوم تفتيشًا دقيقًا، ولا يمكن أن يصل إلى هنا إلا إذا جاء طائرًا.

ودَّع «المفتش» الأصدقاء، ثم ركب سيارته، وانطلق مسرعًا، في حين انصرف الأصدقاء إلى الجناح الذي أُعدَّ لهم في القصر القديم، فأخذ كلٌّ من «نوسة» وشقيقها «محب» غرفة، و«لوزة» وشقيقها «عاطف» غرفة، وأخذ «تختخ» غرفةً وحده.

اغتسل الأصدقاء، ثم نزلوا من غرفِهم، وساروا يتعرَّفون على المكان الذي سيقضون فيه إجازتهم. كانت عزبة «عواد» بجوار قرية «شكشوك»، وبعدَها فندق «البافيون دي شيس» الذي يُشبه كوخًا إنجليزيًّا بسقفِه الأحمر المُنحدِر، وبعده حديقة واسعة، ثم قسم سواحل ومصايد «قارون» المكوَّن من مبنًى رئيسيٍّ كبير تمتد على جانبيه مساكن شرطة المصايد، وبعد القسم استراحة للري مكوَّنة من كشك خشبي كبير، أمامه مرسى للقوارب مُنحنٍ داخل المياه ... وبعد ذلك على امتداد البصر تمتد الأرض المزروعة حتى الأفق.

كان مكانًا رائعًا لقضاء الإجازة ... فهناك البحيرة الهادئة، والحدائق المُثمِرة، والأراضي المزروعة ... وكان الجو رائعًا يَميل قليلًا إلى البرودة المنعشة.

أخذ الأصدقاء يجرُون هنا وهناك، وقد شعروا بالنشاط والحيوية، ومعهم صديقهم «عواد» وشقيقه الصغير «كريم» وخروفه الأبيض يَجري منطلقًا بين المزارع.

قال «تختخ» لـ «عوض»: أين صيَّادو الطيور؟

رد «عوض»: إنك لا تراهم الآن؛ فالصيد يتم عادة في الفجر، حيث يختبئ كل صياد في «لبدةٍ» أو في قارب، ويفاجئ الطيور النائمة على المياه.

نوسة: ما معنى ... «لبدة»؟

عوض: إنها عشة من البوص والأعشاب وسعف النخيل، تسمَح للصائد بالاختباء فيها، ومشاهدة الطيور عن قرب حتى يتمكَّن من الصيد.

عاطف: وما هي أنواع الطيور المهاجِرة يا «عوض»؟

عوض: كثيرة؛ وأشهرها «الغر»، وهو طيرٌ أسود قاتم يميزه منقاره الأبيض، و«الحمراي» و«الشرشير» و«البلبول»، وهي طيور ملونة حجمها في حجم البط. وهي فعلًا أجداد البط المستأنَس حاليًّا.

محب: وهل كلُّ الصيادين من هنا؟

عوض: لا ... إنهم يَحضُرون من جميع الجمهورية في موسم الصيد، بل يحضر بعض الأجانب من الهواة أيضًا ...

تختخ: أجانب؟! تقصد من خارج مصر؟

عوض: طبعًا ... وفي العام الماضي كان هنا عشرة صيادين بعضُهم من فرنسا، وبعضهم من إيطاليا وغيرهما من البلاد.

تختخ: وهذا العام؟

عوض: لم يَحضُر أحد هذا العام ... كلهم مصريُّون وعددهم ستة.

قال «تختخ» موجهًا الحديث لـ «عوض»: هل تَعرف هؤلاء الستة؟

عوض: أعرف اثنين منهم فقط يُقيمان في كوخ مجاور للقصر، وهناك اثنان يقيمان قرب مبنى أوبرج الفيوم البافيون دي شيس بجوارنا هنا.

قضى الأصدقاء الوقت في الجري هنا وهناك، في مرح يستمتعون بالخلاء ... والهواء ... والماء ... حتى كان موعد الغداء، فعادوا إلى القصر جميعًا حيت تناولوا غداءً فلاحيًّا من الفطير المشلتت والعسل.

في المساء سهر الأصدقاء مع الفلاحين على ضوء النيران وشربوا الشاي ثم تفرقوا.

وقف «تختخ» في الشرفة يُحدِّق في الظلام إلى الكوخ المجاور للقصر ... كان يريد أن يتبين ماذا حدث هناك لعله يتمكَّن من معرفة شيء يقود المغامرين الخمسة إلى طريق «جون كنت».

سمع «تختخ» صوت سعال في شرفة الكوخ المُجاور فعرف أن ثمة شخصًا يقف في الظلام، وأخذت الريح التي كانت تهبُّ من البحيرة وتَعبُر بالكوخ ثم بالقصر تحمل إليه حديثًا لم يستطع أن يتبيَّن منه شيئًا ... وعرف أنهما شخصان.

وبعد فترة لاحظ أن ثمة سيجارة مُشتعلة في الشرفة، ثم سمع صوتًا ثالثًا ينضمُّ إلى الصوتين الأولين، فأدرك أن شخصًا آخر قد انضم إلى الشخصين الواقفين في شرفة الكوخ وبدأت أعصابه تتحفز للمغامرة ... من يكون الرجل الثالث الذي انضم إلى الاثنين ويُحدِّثهما في لهجة غاضبة؟ ...

في هذه اللحظة سمع «تختخ» صوتًا خلفه، ثم سمع الأصدقاء جميعًا يدخلون عليه في صخبٍ ... فانسحب من الشرفة وعاد إلى الغرفة.

قالت «نوسة» في مرح: لماذا تحبس نفسك في الغرفة؟! إنَّ الهواء على الشاطئ البحيرة منعش ...

قالت «لوزة»: لا بد أن شيئًا يشغله في الشرفة ... هل هناك شيء في الظلام؟

تختخ: هناك أشياء في الظلام ... إنَّ علينا أن ننتبه لما حولنا لعلنا نعثر على شيءٍ يساعد المفتش «سامي» في بحثه عن المهرب.

محب: هل لاحظتَ شيئًا له أهمية؟

تختخ: ليس بعد، ولكن يجب أن نفتح آذاننا جيدًا، وعيوننا أيضًا.

عاطف: أعتقد أن علينا التعرف إلى الشخصين اللذَين هنا؛ فإنني أشك أن يكون هناك علاقة بينهم وبين «جون كنت».

محب: ولكنَّ هذَين الشخصين مصريان، و«كنت» أجنبي.

تختخ: لا تنسَ أنه يجيد اللغة العربية ويُجيد التنكُّر أيضًا.

اتجه «تختخ» و«محب» إلى الشرفة فقال «تختخ»: اسمع معي ... ألا تسمع أصوات حديث دائر يأتي من ناحية الكوخ؟

استمع «محب» لحظات ثم قال: نعم ... إنها أصوات ثلاثة رجال في الأغلب يتحدثون ...

تختخ: دقِّق النظر في الظلام جيدًا ... فسترى سيجارة مشتعلة، أليس كذلك؟

محب: فعلًا.

تختخ: إنني أريد أن أعرف هذا الثالث؛ فكما قال «عوض» ... ليس في الكوخ سوى شخصين فقط.

محب: كيف يُمكننا معرفته؟

تختخ: إنك خفيف الحركة أكثر منِّي، لهذا أريدك أن تقبع في الظلام قرب الكوخ فإذا غادره الرجل عليك أن تتبعه.

يوم الصيد

غادر «محب» القصر مسرعًا، بعد أن شرح «تختخ» للأصدقاء مهمة «محب» الذي سرعان ما اختفى في الظلام.

أخذ «محب» يبحث عن مكانٍ مُناسب يراقب منه شرفة الكوخ، ويحاول بقدر الإمكان الاستماع إلى الأحاديث الدائرة فيها، ووجد شجرة جمَّيز عالية كانت قريبة من الشرفة إلى درجة كبيرة فتسلقها بهدوء ... وبعد لحظات كان يجلس على فرع ضخم بين الأوراق يستمع إلى الأحاديث الدائرة في شرفة الكوخ.

كانت الكلمات تصل مُتناثرة ... بقدر ما يكون اتجاه الريح ... ثم سكت الحديث ... وشاهد «محب» خلال الظلام شُعلة السيجارة وهي تتحرك ... فأدرك أن الرجل المجهول يتحرَّك مُنصرِفًا ... فأسرع ينزل من فوق الشجرة ويتبعه في الظلام.

ترك الرجل ساحل البحيرة المكشوف ... وأخذ طريقه وسط الأشجار المُتشابكة ... و«محب» يتبعه على صوت خطواته أحيانًا ... وأحيانًا قريبًا منه بحيث يراه ... وكان الرجل يتوقَّف بين وقتٍ وآخر كأنما يتسمع ... لعله يسمع أحدًا يتبعه، فكان «محب» يتوقف أيضًا ويظل متنبهًا حتى يتحرَّك الرجل فيتحرك خلفه ...

ظلت المطاردة مُستمرةً نحو نصف ساعة ... واقترب الاثنان من معسكر رعاية الشباب الذي يشغل قصرًا كبيرًا على الشاطئ البحيرة ... ثم تجاوَزَه الرجل ... وأخذ طريقه نازلًا التل المنحدر الذي يؤدِّي إلى البحيرة نفسها ...

أسرع «محب» ينزل خلف الرجل ليرى ما سيفعل، ولكن الرجل اختفى تمامًا ... ولم يعد له أثر ... مضَت لحظات دون أن يدري «محب» ماذا يفعل، ثم سمع صوتًا يأتي من البحيرة واستطاع أن يلمح فوق المياه قاربًا صغيرًا يتحرَّك بسرعة في اتجاه قلب البحيرة.

أخذ القارب الصغير يختفي ... وصوت المجاديف يختفي شيئًا فشيئًا حتى عمَّ الصمت المكان، فتحرك «محب» عائدًا ... وعندما وصل إلى القصر وجد الأصدقاء جميعًا في انتظاره ... فروى لهم ما حدث.

قال «تختخ» معلقًا: المهم أن نعرف سرَّ هذا الزائر الليلي ... وهل هو ضمن الصيادين الستة أو لا؟ ...

نوسة: ذلك مُمكن جدًّا ... ففي استطاعة «محب» أن يعرفه من بقية الصيادين ...

محب: للأسف لا أستطيع ... فلم تكن هناك فرصة لتبيُّن ملامحه، وكل ما أستطيع أن أعرفه هو طوله، وهذا لا يكفي لمعرفة شخص ...

تختخ: في إمكاننا أن نعرفه من نوع السجاير التي يُدخِّنها ... فقد لاحظت أن الصيادَين اللذَين في الكوخ لا يُدخنان ... وفي الأغلب أنه قد ألقى بعض أعقاب السجاير تحت شرفة الكوخ ... ومن الممكن عن طريقها أن نَعرف شخصيته.

لوزة: هذا دليلٌ جيد، وسأقوم غدًا صباحًا مبكرة وأذهب إلى الكوخ، وأبحث تحت شرفته عن أعقاب السجاير التي يدخنها الرجل المجهول.

عاطف: سوف نستيقظ جميعًا مبكرين، فسوف نشترك في الصيد غدًا مع «عوض» و«عواد» وستتاح لنا فرصة التعرف إلى الصيادين والتحدث معهم ... ولا أظن أنك ستجدين فرصة للذهاب إلى الكوخ المجاور. ومن الصعب العثور على أعقاب السجاير وسط الأعشاب العالية.

وأوى الجميع إلى غرفهم، وفي الصباح الباكر استيقظوا وأسرعوا يتجمَّعون في حديقة القصر الواسعة ... كانت الشمس ما زالت نائمةً ... والجو عاصفًا إلى حد ما ... وهناك لسعة برد خفيفة أيقظت النشاط في أجسامهم، وقد استعدوا للخروج مع «عواد» و«عوض».

وكان «عوض» يحمل بندقية صيد كبيرة ... ويحمل أشرطة الرصاص حول جسمه القوي ... وخلف الجميع كان «زنجر» يَستعد لرحلة الصيد أيضًا.

انطلقوا جميعًا إلى شاطئ البحيرة، وكانت الأمواج مُرتفِعةً، فقال «عوض»: إنه يوم مناسب للصيد؛ فالرياح تحرك الطيور من مكان إلى آخر.

قسَّموا أنفسهم إلى فريقين، وركب كل فريق في قارب، وانطلقوا بالمجاديف إلى الشاطئ الأيمن للبحيرة المسمَّى «حمدي» حيث تقع «لبدة» الصيد المختفية. ولم يسيروا طويلًا حتى

شاهدوا قاربًا يسبقهم، فقال «عواد»: هذا قارب صيد رجلين من الصيادين. واقتربت القوارب بعضها من بعض، واستطاع «تختخ» أن يرى في ضوء الفجر الشاحب هيكل الصيادين، ولكنه لم يستطع تبيُّن ملامحهما.

بينما قارب «عوض» يسير، انطلقت فجأة ثلاث بطات بحرية هاربة، وسرعان ما أطلق من بندقيته طلقتين مُتتاليتَين، فسقَطَت إحدى البطَّات أمامهم، وقبل أن تغُوص في المياه كان «عوض» يمد يده ويَلتقطُها وهي ما زالت تُرفرف …

أمسكت «لوزة» بالبطة الصغيرة … وأحسَّت بالألم؛ فقد كانت بطة جميلة لونها أسود … وحول رقبتها ريش كثير متنوع الألوان من الأحمر والأزرق والأخضر … وكان بقية ريشها أسمر … به بعض ريشات بيضاء …

لم يطلق «عوض» بندقيته مرةً أخرى حتى وصلوا إلى شاطئ «حمدي» حيث توجد «اللبد»، ونزلوا جميعًا واتجه «عوض» وهم خلفه، ومعهم «زنجر» إلى واحدة منها … ثم دخلوها … كانت مبنية من البوص والطين، مفتوحة الباب على البحيرة وكانت المياه تصل إلى حافتها.

ونام الجميع على وجوههم، وتمدَّد «زنجر» بجوارهم … وسمعوا صوت طلقات تأتي من أماكن متفرقة، فقال «عواد»: إن الصيادين قد سبقونا إلى الصيد … ولم يكد يفرغ من كلمته حتى مرَّ بهم سرب من الطيور يصوِّت في الجو: كاك … كاك … كاك …

وأطلق «عوض» بندقيته: … بم … بم … بم … وسقطت بطتان، انطلق «زنجر» فجأة كالنمر … وألقى نفسه في المياه، ومعه «عواد» … ولم تكن المياه عميقة قرب الشاطئ … فاستطاع الإمساك بالبطتين سريعًا … والعودة بهما.

كان «عوض» يُصوِّب بندقيتَه إلى فوق … وينتظر حتى يقترب البط الطائر من مكانهم، حتى لا يسقط بعيدًا عنهم، ثم يُطلِق بندقيته … وتتساقَط الطيور … واشترك المغامرون في الإمساك بالطيور التي كان بعضها يظلُّ حيًّا، وممَّا أدهش «لوزة» التي كانت تظن أن الرصاص لا بد أن يقتلها …

ولكن «تختخ» قال لها: إنَّ بنادق الصيد تستعمل «الخرطوش» لا الرصاص، كما في بنادق الحرب. والخرطوش عبارة عن إصبع من الورق المقوَّى مملوء بكرات الرصاص الدقيقة الحجم، ومعها البارود … ولهذا الإصبع رأس من النحاس … فإذا انطلق زناد البندقية أصاب الرأس، وأنتج درجة حرارة عالية تشعل البارود فينفجر، ويطلق كرات الرصاص الصغيرة التي تُسمَّى الرش، وتصيب الطائر فتجرحه فقط. إلا إذا أصابت قلبه أو رأسه، فإنها تقتلُه …

استمر الصيد نحو ساعتين ... واستطاع الأصدقاء أن يَجمعوا عشرين طيرًا ... وكان صيدًا موفَّقًا.

قال «تختخ»: أريد أن أرى بقية «اللبد»، فهل هذا مُمكن؟

عوض: طبعًا ... خذ معك بعض الأصدقاء في قارب، وسأعود أنا والبقية في القارب الثاني، لنُجهِّز لكم الغداء من هذه الطيور اللذيذة.

الخرطوش العجيب

ذهب «تختخ» ومعه «محب»، و«لوزة»، وانطلق بالقارب في اتجاه بقية الصيادين، وعندما اقترب من «اللبدة» الأولى سمع الثلاثة صوت طلقات الخرطوش، فقالت «لوزة»: إنهم ما زالوا يَصطادون برغم أن وقت الصيد قد انتهى.

وسمع الأصدقاء صوت طائرة رش المبيدات التي حلقت فوقهم، ثم انطلقت مُبتعدة.

فقال «تختخ»: إن هذا الطيار يقوم بواجبه تمامًا، فهو يستيقظ مبكرًا كأنه صياد.

واقترب الثلاثة من «اللبدة» وكان بها صيادان، فأخذ «تختخ» يجدف ببطء مقتربًا منهما، وعندما أصبح القارب قريبًا منهما جدًّا سمع الأصدقاء أحد الرجلين يصيح في غضب طالبًا منهم الابتعاد عن منطقة الصيد.

وانحرف «تختخ» مبتعدًا ... لكنه لم يَبتعد كثيرًا، فقد اختار مكانًا من الشاطئ ترتفع فيه الأعشاب وأوقف القارب، وأخذ يراقب الصيادَين من بعيد ... ومضت فترة وهم جالسون في أماكنهم بلا حراك، فقالت «لوزة»: ماذا تنتظر يا «تختخ» ... هل تشتبه في شيء؟

تختخ: أبدًا في رأسي بعض الخواطر والأفكار ... وعلى كل حالٍ سنُراقبهما، لنرى كيف يَصطادان، وهل هما ماهران مثل «عوض» أو أكثر مهارة ...

وظل الأصدقاء ينتظرون فترة دون أن يطلق الصيادان طلقة واحدة، ثم لاحظوا أنهما استقلا قاربهما واتجها إلى القرية، فقالت «لوزة»: إنهما لن يصطادا بعد الآن ...

قال «تختخ»: لنذهب مكانهما ونعرف بأي نوع من الخراطيش يصطادان.

محب: وما الفائدة؟

تختخ: لا شيء ... إنني أحبُّ جمْع الخراطيش الفارغة.

واتجهوا بالقارب إلى مكان «اللبدة» التي كان يشغلها الصيادان، وكانت الخراطيش الفارغة تتناثر هنا هناك من كل الألوان ... وأخذ «تختخ» يجمع عينات منها ... ثم انحنى

فجأةً على خرطوش. وقال في لهجة مُنتصِرة: هذا نوع نادر من الخرطوش ... إنه ضخم وأكبر من الحجم المعتاد ثلاث مرات.

وشاهد «محب» و«لوزة» الخرطوش في يد «تختخ». وفعلًا كان حجمه كبيرًا. وقال «تختخ»: سأبحث عن خراطيش أخرى من النوع نفسه ... إنه نوعٌ نادرٌ يسرُّني أن أضمه إلى مجموعتي.

أخذ الأصدقاء الثلاثة يبحثون هنا وهناك، واستطاعوا العثور على خرطوش آخر فقط من النوع نفسه ... ثم قال «تختخ»: هيا نعود، لنتناول الإفطار؛ فالاستيقاظ مبكرًا وهذه الرحلة قد فتحا شهيتي للأكل ...

وأمسك «تختخ» مجدافًا، وأمسك «محب» بالآخر، وأخذا يجدفان بسرعة، والقارب يشق المياه في اتجاه القرية ... و«لوزة» مُستمتعة بالجو ... والقارب ... ونشاط الصديقَين ... وعندما وصلوا إلى قرب القصر وجدوا بقية الأصدقاء في انتظارهم على الشاطئ، واتَّجه الجميع إلى القصر حيث كان في انتظارهم فطور شهيٌّ من البيض الطازج وعسل النحل واللبن الساخن ...

وقدَّم «تختخ» الخرطوش إلى «عوض» قائلًا: ما رأيك في هذا النوع من الخراطيش؟ هل شاهدت مثله من قبل؟

أمسك «عوض» بالخرطوش مُندهشًا ثم سأل: إنه غريب حقًّا ... فلم أرَ في حياتي مثله.

تختخ: لا بدَّ أن الرجلَين يَصطادان دائمًا كميات ضخمة من الطيور بهذه الخراطيش الكبيرة.

عوض: ولكن أيُّ نوع من البنادق يُطلق هذا الخرطوش؟! إنه كبير للغاية ... ولا تتَّسع له إلا بندقية في حجم المدفع.

تدخل «عاطف» في الحديث قائلًا: ولكن إذا كانا يَستعملان هذا النوع من الخرطوش في الصيد، فهل من المعقول أن يُطلقا اثنين فقط طوال فترة الصيد.

رفع «تختخ» حاجبَيه في دهشة وقال: معك حق ... إنه سؤال يستحقُّ الإجابة ... ولكن كيف الإجابة؟! ولم يردَّ أحد!

وقضى الأصدقاء بقية اليوم يجرُون هنا وهناك ... وأقاموا سباقًا على ظهور الحمير. أما «تختخ» فكان يحمل الخرطوشين الفارغَين في يده ... وقد غاص في تفكيرٍ عميقٍ وهو جالس على شاطئ البحيرة يفكر ... وكان الجميع قد تناوَلوا غداءً شهيًّا من البط الذي اصطادَه «عوض».

وفي ذلك المساء ... جلس «تختخ» في شُرفة القصر ... يرقب الكوخ القريب حيث يسكن الصيادان وقد عرف من «عوض» أن اسمَيهما «موسى» و«عثمان» ... وكان «تختخ» يأمل أن يأتي الرجل الثالث؟ ولماذا لا يأتي إلا ليلًا؟ وهل هو من الصيادين الأربعة الذين يَسكُنون بعيدًا؟

كان «تختخ» يريد الحصول على إجابات عن هذه الأسئلة كلها ... وكان الحل الوحيد أن يتبع الرجل في رحلته الليلية ليعرف من أين يأتي.

وفي الظلام ظهر «موسى» و«عثمان» كشبحَين ... وأخذا يتحدَّثان ... وأخذ «تختخ» يُحاول الإصغاء إلى الكلمات ... وفي الوقت نفسه يأمل أن يصل الرجل الثالث ... ولكن الوقت مضى دون أن يظهر ... ودخل الرجلان كوخَهما. ومضَت الساعات ... وجاء وقت النوم، فذهب الجميع إلى أسرتهم، وبقيَ «تختخ» وحده في الظلام.

قرب مُنتصَف الليل أحسَّ «تختخ» بالنعاس يُهاجمه ... وكانت عاصفة باردة قد هبَّت على البحيرة، فارتفع صوت الأمواج، وزمجرت الرياح بين الأشجار، فأسرع «تختخ» إلى فراشه ... وبينما هو يُسلم نفسَه للنوم اللذيذ خُيِّل إليه أنه يسمع صوت طائرة ... صوتًا يُشبه صوت طائرة رشِّ المبيدات الحشرية التي رآها يوم حضوره ... ورآها في الصباح ... ولكن لماذا تطير في الليل ... هل يمكن أن يتمَّ رش المبيدات ليلًا ... إن هذا مستحيل ... فلن يرى الطيار المساحات التي يرشها ... ولا سيما أن الليلة مُظلمة ... والريح عاصفة تحمل المبيدات بعيدًا عن الأرض المخصَّصة لها ...

استسلم «تختخ» للنوم وهو يفكر في صوت الطائرة ... وهل هي طائرة فعلًا أو أنه خُيِّل إليه ذلك ... بين الأصوات الكثيرة التي أحدثتها العاصفة في الأشجار والبحيرة ...

عندما حضر الأصدقاء في الصباح الباكر لإيقاظ «تختخ» وجدوه ما زال نائمًا ... فقد سهر كثيرًا أمس ... وبين اليقظة والمنام قال لهم إنه لن يخرج هذا اليوم. ثم عاد إلى النوم ...

أسرع الأصدقاء إلى القارب مع «عوض» ليشتركوا في رحلة الصيد ... في حين استمر «تختخ» نائمًا فلم يستيقظ إلا في الساعة التاسعة صباحًا ... وبعد أن تناول فطوره وقف في شرفة القصر يستمتع بالشمس الدافئة، وكم كانت دهشتُه عندما وجد «موسى» و«عثمان» في كوخهما لم يُغادراه ... وفكر «تختخ» بسرعة ... وقرَّر أن يذهب للتعرف عليهما ... وكانت عنده وسيلة طيبة لفتح الحديث ... هي هذا النوع من الخراطيش الضخمة الذي يستعملانه.

وأخذ «تختخ» خرطوشًا فارغًا، ثم تقدم حيث كان الرجلان يجلسان في الشمس، وقد انهمكا في تنظيف بنادقهما. ألقى «تختخ» عليهما تحية الصباح. فردَّا التحية، ودون أن

ينتظر دعوة منهما، تقدم وجلس بجوارهما، وأخذ يتحدث معهما عن الصيد والبنادق والطيور ... وعندما اندمجوا جميعًا في الحديث، أخرج «تختخ» الخرطوش الكبير وسأل «موسى» قائلًا: هذه أول مرة أرى فيها هذا النوع من الخراطيش ... إنه طبعًا لا يُطلق من بندقية عادية ...

أمسك «موسى» بالخرطوش في يده ثم قال: هذا نوع غريب من الخرطوش ... لا أظن أنه يُستعمل في الصيد.

تختخ: وفيم يستخدم إذن؟

موسى: لا أدري؛ فهذه أول مرة أشاهده فيها.

دهش «تختخ» جدًّا لهذا الرد وقال: لم تُشاهِدْه مطلقًا؟

موسى: مطلقًا؟

تختخ: ولكني وجدته في اللبدة التي تصطادان فيها.

نظر «موسى» إلى «عثمان» ثم قال: إننا لا نَستخدم هذا الخرطوش مُطلقًا. ولعلَّ أشخاصًا غيرنا كانوا يَصطادون في اللبدة قبلنا ... أو أنه من مخلَّفات السنة الماضية.

كان حديث «موسى» قاطعًا ... ولم يجد «تختخ» شيئًا يقوله ... فقام بعد أن أخذ الخرطوش معه، وقد ملأت رأسه الخواطر ... ولما ابتعد عن الرجلين وضع الخرطوش قرب أنفه وشمَّه ... وكانت رائحة البارود ما زالت واضحة فيه، مما يدلُّ على أنه أطلق حديثًا.

قال «تختخ» في نفسه: لماذا ينكر الرجلان أنهما استعملا الخرطوش؟! وإذا لم يكونا هما فهل يكون شخصٌ آخر ... الرجل الثالث الغامض مثلًا؟!

مزيد من الأسئلة دون رد ... وسار «تختخ» لا يدري أين يذهب. وقادته قدماه إلى قسم سواحل ومصايد «قارون» وكان أحد الضباط يَجلس وحيدًا في الشمس ... فاقترب منه «تختخ» وحيَّاه، وقد خطرت في رأسه فكرة طيبة؛ أن يسأل الضابط عن هذا الخرطوش ونوعه ... وفي أي شيءٍ يُستخدَم، ونوع البندقية التي تُطلقه.

حيا «تختخ» الضابط، وعرَّفه بنفسه، ثم وقف بجواره فطلب الضابط له كرسيًّا، وطلب منه الجلوس، ثم طلب له كوبًا من الشاي ... وفي هذا الجو المشجِّع ... أخرج «تختخ» الخرطوش من جيبه ثم قدَّمه للضابط قائلًا: هل رأيت مثل هذا النوع من الخرطوش من قبل؟

أمسك الضابط بالخرطوش ثم قال ببساطة: طبعًا إنه خرطوش من نوعٍ خاصٍّ يُستخدَم في الإضاءة ليلًا؟

قال «تختخ» باندهاش: الإضاءة؟! أية إضاءة؟

الضابط: إنه يُطلَق في الظلام لإنارة الهدف ... فهو يُحدث شعلة مضيئة كبيرة تضيء على ارتفاع كبير، ثم تهبط وتظلُّ مشتعلة، فتُضيئ ما حولها وما تحتها من أرض ... وعادة ما يُستخدَم في الحرب لإضاءة هدفٍ مُختفٍ في الظلام من أجل المدفعية أو الطائرات.

تختخ: شيء مُدهش! ... وهل يُمكن إطلاقه من بندقية صيد؟

ضحك الضابط قائلًا: لا، طبعًا ... إنه يُطلَق من نوع خاص من المسدسات كبيرة الفوهة ... وهو لا يوجد إلا في وحدات الجيوش ... ونادرًا ما يكون مع أفراد ...

قضى «تختخ» مع الضابط «صفوت» وقتًا طويلًا يتحدثان، وتوثقت العلاقة بينهما ... وعندما غادَر «تختخ» المكان عائدًا إلى القصر ... كانت الإجابات التي حصل عليها عن الخرطوش الكبير تشغل باله ... خراطيش مُضيئة! لماذا؟ ومن استخدمها إذا كان «عثمان» و«موسى» يُنكِران؟ وكيف السبيل إلى معرفة مَن أطلَقَها؟! إنَّ الحل الوحيد هو محاولة دخول كوخ الرجلين والبحث عن المسدس الكبير الذي يُطلِق الخراطيش ...

ولكن ... كان هناك أهم سؤال ... هل لهذا كله صلة بالمهرب الدولي «جون كنت» ... أو أنه موضوع آخر؟! عندما وصل «تختخ» إلى القصر كان الأصدقاء قد عادوا من رحلتهم، وتقدمت منه «لوزة» قائلة: لقد انتهزتُ الفرصة اليوم وذهبت للبحث بين الأعشاب عن أعقاب السجائر، وقد وجدت ثلاثة ... بل إنني أيضًا وجدت علبةً فارغة، وهي مِن نوع ... «كنت» الأمريكي.

قال «عاطف» ضاحكًا: ماركة «كنت» ... لا بدَّ أن الذي يُدخِّنها هو «جون كنت» المهرب الدولي!

هزَّ «تختخ» رأسه قائلًا: مَن يدري؟ ... لعله هو! واستطاع أن يمرَّ من كمائن الشرطة وهو مُتخفٍّ!

في قلب العاصفة

في تلك الأمسية وضَح أن عاصفة قوية تتجمَّع في الأفق، ولكن ذلك لم يمنع «تختخ» من أن يقوم بمراقبة الكوخ المجاور ... وهو يفكر في طريقة لدخوله ... على أمل أن يحضر الرجل الثالث الغامض.

وبعد أن هبط الظلام، لاحظ «تختخ» السيجارة المشتعلة في الكوخ فأدرك أن الزائر الغامض قد حضر ... فاستدعى «تختخ» الأصدقاء كلهم قائلًا: علينا أن نتبع هذا الرجل الليلة، ونعرف من أين يأتي ... إنَّ عندي من الملاحظات والأدلة ما يُؤكِّد أن شيئًا غير عادي يحدث بين هؤلاء الرجال الثلاثة، وبخاصة بعد أن علمت من الضابط «صفوت» حقيقة الخراطيش الكبيرة التي وجدناها في «اللبدة». وعلينا جميعًا أن نراقب الرجل ثم نتبعه إلى حيث يذهب.

محب: إنك لن تتبعه وحدك يا «تختخ»، بل سنَتبعه جميعًا؛ فقد استطاع الهرب منِّي في المرة السابقة ...

تختخ: إذن استعدُّوا جميعًا، وسأعطيكم إشارة.

عاطف: أقترح أن يقف بعضُنا قرب شاطئ البحيرة، وأن نستعدَّ بقارب، ما دام الرجل قد استعمل القارب قبل الآن في الاختفاء عن الأنظار.

وفعلًا أسرع «عاطف» و«نوسة» إلى شاطئ البحيرة، على حين استعدَّ «محب» و«تختخ» و«لوزة» و«زنجر» لمتابعة الرجل بمجرَّد خروجه. لكن كانت مفاجأة لهم جميعًا أن الرجل لم يخرج وحده هذه المرة، بل خرج الرجال الثلاثة معًا، وكانوا يحملون معهم بعض الحقائب، ثم اتجهوا إلى البحيرة ... وعندما رآهم «عاطف» و«نوسة» اختفَيا خلف السور ... حتى لا يروهما.

ركب الرجال الثلاثة القارب ... فأسرع الأصدقاء إلى قاربهم ومعهم «زنجر» وسرعان ما بدأ القاربان رحلة مثيرة في الظلام ... وفي العاصفة التي كانت قد بدأت تشتد.

قالت «نوسة»: لسوء الحظ أن السماء مظلمة تمامًا وقد يختفي منَّا القارب ولا نراه ...

تختخ: ولكن الظلام له ميزة؛ إنه سيُخفي مطاردتنا لهم ...

عاطف: وكيف نتبعهم في الظلام؟

تختخ: سنَعتمد على ضوء السجائر التي يُدخِّنها الرجل الغامض، إنه يُدخِّن كثيرًا، وسيضطر إلى إشعال أعواد كثيرة من الكبريت، أو إشعال الولاعة ... وهذا على كل حال ما نستطيعه.

كانت فكرة «تختخ» صحيحة ... فبرغم الظلام والريح كان في استطاعتهم بين فترة وأخرى أن يروا السيجارة المشتعلة، أو أعواد الكبريت ... وعن هذا الطريق استطاعوا أن يتبعوا القارب فترة من الوقت ... وبعد أن قطعوا نصف عرض البحيرة قال «محب»: من الواضح أنهم متَّجهون إلى الجانب الآخر من البحيرة؛ حيث الصحراء الغربية.

واستمرت المطاردة فترةً أخرى، وفجأةً اشتدَّت العاصفة، وارتفعت الأمواج حتى أصبحت كالجبال ... وأخذ قاربهم الصغير يترنَّح تحت ضربات الريح، وفوق قمم الأمواج. وكان «محب» و«عاطف» ... يقومان بالتجديف، في حين يمسك «تختخ» بالدفة ... ولكن لم يعد في الإمكان السيطرة على القارب ... لقد أصبح لعبة صغيرة في يد الرياح والأمواج ... ولم يعد في إمكانهم أن يروا شيئًا أو يسمع أحدهم الآخر. وصاح «تختخ» بكل ما يملك من قوة: أَمسكُوا بالقارب جيدًا ... حذار أن يقع أحدكم في الماء، فلن نستطيع رؤيته أو إنقاذه ... ابحث يا «محب» عن حبل في القارب!

ترك «محب» المجداف الذي يمسكه، وسار في وسط القارب مترنحًا، يسقط مرة ويقف مرة ... ثم نزل إلى كابينة القارب يبحث عن قطعة حبل، ولحسن الحظ وجدها، فصعد مرة أخرى ... ولكن العاصفة كانت قد جنَّ جُنونها وأخذت المياه تتدفَّق داخل القارب ... وصرخت لوزة ونبح «زنجر» نباحًا حزينًا ... وأخذت المياه تجرف القارب بسرعة دون أن يعرفوا إلى أين يتَّجه ... وفي وسط هذا الفزع كان كل ما يفكر فيه «تختخ» هو «لوزة» و«نوسة»؛ فقد خشى أن تجرفهما المياه إلى البحيرة وتغرقا ... وكان «محب» قد ناوله قطعة الحبل، فأسرع إلى «نوسة» و«لوزة» وربطهما، ثم ربط طرف الحبل في وسطه ... حتى إذا جذبت المياه إحداهما استطاع أن يُعيدها بواسطة الحبل ... ولم تمضِ دقيقة حتى تحقَّق ما كان يخشاه؛ فقد جرف التيار «لوزة» إلى البحيرة، وسمع صوت صراخها ... وأحسَّ بها

تجذب الحبل ... فمال على جانب القارب، وأخذ يَجذبُ الحبل بكل ما يملك من قوة ... وهو يخشى في كل لحظة أن ينقطع الحبل وتضيع «لوزة» في الظلام والعاصفة. ولكنه لحسن الحظ استطاع أن يستعيدها بسرعة، ثم احتضنها، وأخذ يُهدِّئ من روعها ... ويبعث فيها الثقة ... لكن «لوزة» كانت تَرتجِف بردًا وخوفًا ... وأخذت تبكي وتختلط دموعها بالمياه الساقطة من شعرها.

وكان «محب» و«عاطف» يجلسان بجوار «نوسة» مُمسكَين بخشب القارب بشدة.

استمرت العاصفة، وظل القارب طافيًا فترة، ولكن المياه التي كانت تسقط فيه بدأت تُثقِل حركته، وتأكَّد «تختخ» أنَّ القارب سيغرق سريعًا. وأخذ يُحاول التفكير في طريقة لإنقاذهم، ولكن كيف؟!

وبدأ القارب يغوص في المياه تدريجيًّا ... وفجأةً جاءت موجة كبيرة حملت القارب إلى فوق ... ثم نزل بسرعة هائلة وارتطم بالأرض! لقد حملته الموجة إلى الشاطئ الرملي ثم قذفتْه ... وتحطَّم وتحوَّل إلى قطع متناثرة.

طار الأصدقاء في الهواء ... ثم سقطوا على رمال الشاطئ. واستطاع «تختخ» و«محب» أن يقفا بسرعة ... ثم يتجها في الظلام للبحث عن بقية الأصدقاء ... وكان من السهل العثور عليهم فوق الرمال البيضاء بواسطة الأنين الذي كان يَصدُر منهم ...

حمل «تختخ» «نوسة»، وحمل «محب» «لوزة». وسار خلفهم «عاطف» و«زنجر» محاولين الابتعاد عن المياه حتى لا تأتيَ موجة أخرى وتجرَّهم إلى الماء مرةً أخرى.

استطاع الأصدقاء أن يصلوا إلى بر الأمان ... ولكن في حالة يرثي لها من البلل والإعياء والبرد ... وتجمَّعوا معًا ... وتذكر «تختخ» فمد يده في جيبه وأخرج بطاريته المُغطَّاة بالمطاط. وأخذ يتحسَّس مفتاحها حتى وجده، ثم ضغط عليه وهو لا يتوقع أن تضيء ... لكن حمدًا لله، لقد أضاءت، فأدار شريط الضوء حوله ... وأخذ ينظر إلى الأصدقاء ... كانوا جميعًا قد بللتهم المياه ... وأخذوا يرتجفون من البرد ... ولاحظ «تختخ» جرحًا داميًا في رأس «عاطف» ... فأخرج منديله وربط الجرح ...

أخذ «تختخ» يتحدث إلى الأصدقاء ... وبرغم العاصفة كان صوته يصلُ إليهم قائلًا: لقد أُنقذنا من العاصفة ... وذلك في حد ذاته حظ حسن ... أرجو أن تكونوا على ثقة من أننا سنَجتاز هذه المحنة كما اجتزنا من قبل مِحَنًا مُماثِلة ... وكل ما أرجوه أن نجد مكانًا نقضي فيه ليلتنا حتى لا يقتلَنا البرد ...

ساد الصمت ... ولم يعد الأصدقاء يسمعون إلا دويَّ الريح ... ثم قام «تختخ» وقال: سأفتش حولنا وأعود إليكم ... لعلَّني أجد مأوًى، أو أعرف أين نحن؟ وسار «تختخ» وقد

أضاء مصباحه ... وسار فترة على الشاطئ ... ثم صعد التلال الرملية، فوجد في مقابله في الظلام مُرتفعات حجرية ضخمة ... واستطاع على ضوء البطارية أن يجد بعض فتحات ... كأنها أبواب لكهوف قديمة ... وفكر لحظات ثم تقدم إلى أحد الكهوف ... ودخل ... وأخذ يدير مصباحه هنا وهناك ... كان الكهف حجريًّا مرتفع السقف ... ولم يكن هناك أثر للحياة فيه ... وسار «تختخ» قليلًا في الكهف ... ثم قرَّر الاكتفاء بما شاهَدَه والعودة لإحضار الأصدقاء من البرد والعاصفة.

بعد دقائق. كان الجميع قد دخلوا الكهف ... واتقوا بهذا الرياح الباردة العنيفة ... فقال «تختخ»: لن نستطيع أن نجد شيئًا نتدفَّأ به أو شيئًا نأكله، فلنتجمَّع بعضنا بجوار بعض، ونُحاول النوم حتى الصباح.

استندوا جميعًا على جدران الكهف، وتلاصقوا فأحسُّوا ببعض الدفء ... وكانت العاصفة الباردة لا تزال تدوي في الخارج ... ولكن التعب أنساهم كل شيء وسرعان ما ناموا.

«زنجر» يتحرك

عندما استيقظ الأصدقاء في الصباح ... كان أول ما لاحظوه في الكهف أن «زنجر» ليس موجودًا ... وأسرعوا إلى الخارج لعله أمام الكهف، ولكنه لم يكن هناك.

كانت العاصفة قد سكتت تماما كأنها لم تكن ... وكانت الشمس الدافئة قد صعدت في الأفق، فوقف الأصدقاء تحت ضوئها الرحيم يتأملون ما حولهم، ويحاولون معرفة أين هم ...

كان الشاطئ الرملي يمتد إلى اليمين واليسار وليس عليه أثر للحياة، وخلفهم كهوف كثيرة، وبعدها الصحراء، وكانت البحيرة أمامهم تمتد إلى حافة الأفق حيث كان في استطاعتهم أن يروا على بُعدٍ سحيق الشاطئ الآخر للبحيرة ...

قالت «لوزة» وهي تُعرِّض ثيابها للشمس: وكيف نعود؟

قال «محب»: لا أحد يستطيع الإجابة عن هذا السؤال الآن، وبخاصة أن قاربنا قد تحطَّم.

نوسة: وأين ذهب الرجال الثلاثة؟

عاطف: إما أن يكونوا قد غرقوا أو تحطَّم قاربهم مثلنا.

محب: ولكن من الممكن أن يكونوا قد استطاعوا السيطرة على القارب ووصلوا إلى الشاطئ سالمين ...

لم يكدِ الأصدقاء ينتهون من كلامهم حتى ظهر «زنجر» وكانت مفاجأة مفرحة لهم أن يروه قادمًا من بعيد ... وصاحت «لوزة»: لقد حضر «زنجر» ... وقامت تجري إليه ... ولاحظ الأصدقاء جميعًا أن «زنجر» كان يحمل في فمه ربطة كبيرة من الورق ... فأسرعوا جميعًا إليه ... وظل «زنجر» يجري حتى وصل إلى «تختخ» ثم وضع اللفة أمامه، ووقف يهزُّ ذيله، ويقفز على أكتاف الأصدقاء.

فتح «تختخ» الربطة ... وكم كانت دهشة الأصدقاء وفرحتهم إذ وجدوا في الربطة كمية من الساندوتشات في كيس من النايلون ... لقد كانوا جميعًا جياعًا ... لم يتعشوا ولم يفطروا ... صاحت «نوسة»: يا لك من كلب مُدهش! ... هل كنت تعرف مدى جوعنا؟

أخذ «تختخ» يوزع الساندوتشات على الأصدقاء وعلى «زنجر» أيضًا، الذي كان موضع تكريمهم جميعًا ... وفجأة قال «تختخ»: هناك شيء أهم من الساندوتشات في هذه الربطة.

محب: ما هو؟

وانحنى الأصدقاء جميعًا يبحثون في الربطة عن الشيء المهم ... وكانت مُفاجأةً ثانية لهم ألا يجدوا شيئًا. فقالت نوسة: لا شيء على الإطلاق يا «تختخ».

ولكن أمسك «تختخ» بالورق الفارغ وقال: لقد نسيتُم عمل المخبرين الأذكياء! إن وجود هذه الربطة يعني أولًا وجود أشخاص على مَقربة منَّا ... وثانيًا الساندوتشات محشوة «بسطرمة» و«بلوبيف» وهذا ليس من طعام الفلاحين.

لوزة: هل تعني أننا على مقربة من «موسى» و«عثمان»!

تختخ: هذا ممكن ولعلهما استطاعا هما والرجل الثالث أن يَصلُوا إلى البر هنا ... ولحسن الحظ أن العاصفة ألقتْ بنا على القُرب منهم!

عاطف: هناك شيء رابع ... إن اختفاء الربطة سوف يدلُّهم على أن هناك أشخاصًا قريبين، منهم ... فيجب أن نكون على حذر.

تختخ: فعلًا.

نوسة: وهناك شيء خامس ... إن في استطاعتنا أن نصل إلى مكانهم عن طريق «زنجر» ... إما بواسطة آثار أقدامه على الرمال، أو أن نُفهمه أن يدلنا على مكانهم.

تختخ: لقد عُدتم إلى الاستنتاج من جديد بعد أن شبعتم.

لوزة: ولكنَّني عطشانة.

وسكت الجميع ... فقد كانوا جميعًا يُحسون بالعطش ... لكن أين يجدون الماء في هذه الصحراء الشاسعة؟! لم يكن أمامهم حل إلا أن يتصلوا بالأشخاص الذين سرق منهم «زنجر» ربطة الطعام ... سواء أكانوا «موسى» و«عثمان» والرجل الثالث الغامض ... أم كانوا أشخاصا آخرين!

كان الطعام والشمس الساطعة قد أعادا إليهم نشاطهم فبدءوا يسيرون وهم يتبعون آثار «زنجر» على رمال الشاطئ الساكن ... وكانت الآثار واضحة فساروا مسرعين ... ولكن بعد فترة قال «تختخ»: من الأفضل أن نكون أكثر حذرًا ... فقد يروننا، وهم يحملون بنادق صيد يُمكن أن تُصيبنا.

وبدءوا يسيرون على مهل، ولكن «زنجر» لم يُعجِبه هذا المشي، فظلَّ يجري مسرعًا، ثم اختفى قبل أن يَتنبَّهوا إلى مناداته.

قالت «نوسة»: لقد اختفى «زنجر» عن أنظارنا وصعد إلى المرتفعات التي خلف الكهوف ... ومعنى ذلك أننا اقتربنا من مكان الغرباء الذين هنا.

ولم تَكد «نوسة» تتم جملتها حتى سمعوا صوت عيار ناري واضح في الصمت المخيم على الصحراء ... ثم سمعوا صوت عُواء كلب يتألم ... وصاح «تختخ» كالمجنون: لقد ضربوا «زنجر» ... الأوغاد. وانفجرت «لوزة» باكية وهي تقول: «زنجر» «زنجر»!

وانطلق «تختخ» يجري كالمجنون في اتجاه الطلق الناري، لكن «محب» «عاطف» أدركا خطورة الموقف، وأن الذي أطلق النار على «زنجر» يُمكن أن يطلق النار على «تختخ»، فجريا، خلفه، وكانا أسرع منه حركة، فاستطاعا اللحاق به. وأمسكاه من ذراعَيه ... وأخذ «تختخ» في ثورته يحاول التخلُّص منهما، ولكنَّهما ظلا مُتشبثَين بذراعيه ... وفي هذه اللحظة ظهر «زنجر» يجري ... وجرى إليه «تختخ» وبقية الأصدقاء وهم يَتصايحون: «زنجر» ... «زنجر». كان الكلب الأسود العزيز يجري بسهولة ... كأن لم يُصَب ولكن عندما أخذه «تختخ» بين ذراعيه تبيَّن أنه أصيب فعلًا، لكن ببضعِ رشَّات في فخذه، وفي ذيله ... وكان مكان الرش واضحًا ... فقد أحرق الشعر في مكان الإصابة ... وكانت بضع قطرات من الدم قد سالت من أماكن الإصابة.

أسرع الأصدقاء بـ «زنجر» إلى شاطئ البحيرة، وغسلوا له مكان الإصابات بقدر ما استطاعوا. وقالت «لوزة»: لا بدَّ أن نحاول العودة سريعًا، قبل أن تتقيَّح هذه الإصابات، لكن ما السبيل؟

رد «تختخ»: إنَّ «زنجر» كلب قوي ويستطيع الاحتمال ... وأرى أن نُحاول معرفة لغز هؤلاء الرجال أولًا؛ فقد يكون لهم صلة بالمُهرِّب الدولي «جون كنت».

محب: إنهم قريبون منَّا ... ومن الأفضل ألا نتحرك جميعًا، وأقترح أن أذهب أنا و«تختخ» للبحث عن مكانهم.

وبدأ «تختخ»: و«محب» مسيرتهما، وتبعهما «زنجر» ورغم محاولة إبعاده رفض الكلب الأسود البقاء مع بقية المجموعة في الكهف الذي اختفَوا فيه، وظلَّ مصرًّا على التقدم.

سار الصديقان خلف «زنجر» الذي قادهما عبر بعض الصخور والدروب حتى وصلا إلى منطقة رملية ظهرت فيها بعض الأعشاب والنباتات؛ فقال «تختخ»: إن هذه ليست نباتات صحراوية ... وهذا يعني أننا قريبان من مصدر للمياه العذبة.

وقد صحَّ استنتاج «تختخ»؛ فقد قادهما «زنجر» سريعًا إلى بئر للمياه، ووقف يلهث ويُدلي لسانه الأحمر ... كان واضحًا أن «زنجر» شديد العطش ... وأنه استطاع الاستدلال على مكان البئر في الصباح، حيث ضرَبه الرجال بالنار.

أخذ «تختخ» ينظر حوله وقال: إننا قريبان من الرجال الثلاثة؛ فلا بدَّ أنهم مُختفون في مكانٍ قريبٍ من البئر ...

محب: وماذا نفعل؟

تختخ: اذهب لاستدعاء الأصدقاء ليشربوا وسأختفي أنا في كهفٍ قريب مع «زنجر» لحين عودتكم ... وأُراقب ما يحدث هنا.

أسرع «محب» لتنفيذ المهمة، وأسرع «تختخ» إلى أحد الكهوف الكثيرة المنتشرة حول البئر، وجلس يرقب ما يدور حوله. ولم يمضِ سوى دقائق قليلة حتى ظهر أحد الرجال يَحمل بندقية، وأخذ ينظر حوله في حذر، ثم تقدم من البئر وهو يَحمِل باليد الأخرى دلوًا ... وتقدم من البئر، ووضع البندقية جانبًا ثم سحب الحبل وربط طرفه بالدلو وأدلاه في البئر وبعد لحظات أعاده ممتلئًا، وأحس «تختخ» أنه لا يستطيع مقاومة إغراء المياه. وفكَّر أن يجري إلى الرجل ويقفز عليه ويأخذ منه الدلو ... ولكن كان هذا التصرف طائشًا، فسوف يظهر بقية الرجال!

حمل الرجل الدلو ثم عاد من حيث أتى ... واختفى خلف أحد التلال، بدون أن يتمكَّن «تختخ» من رؤية المكان الذي جاء منه ... وبعد لحظات وصل الأصدقاء وشرح لهم «تختخ» ما رآه، ثم قال: إننا لن نستطيع الحصول على ماءٍ للشرب، ما دام الدلو ليس معنا.

محب: يبدو أنهم يحتفظون بالدلو حتى لا يشرب أحد آخر سواهم.

نوسة: عندي فكرة بسيطة ... إن الكيس النايلون الذي كان به الساندوتشات معي ... لقد احتفظت به ... وفي الإمكان أن ينزل أحدنا إلى قاع البئر ويملأ الكيس بالماء ويعود به.

تختخ: فكرة ممتازة ... وللأسف أنا لا أستطيع النزول ... فقد لا يتحمَّلُني الحبل.

عاطف: سأنزل أنا ... فوَزني خفيف.

وتسلل الأصدقاء ناحية البئر وهم يتلفَّتُون حولهم حتى لا يُفاجئهم أحد الرجال ... ووصلوا إلى البئر، وأمسك «تختخ» بالحبل الذي كان مربوطًا في عارضة من الخشب فوق البئر، وقال: إنه حبل جديد ومتين ويمكن أن أنزل به.

عاطف: لا، سأنزل أنا.

وأمسك «عاطف» بالحبل ووضع قدميه على جدار البئر وأخذ ينزل خطوة، خطوة، بعد أن أخذ الكيس النايلون معه، وظل الأصدقاء يتابعون نزوله، وهو يختفي شيئًا فشيئًا في ظلام البئر.

مضت بضع دقائق ثم بدأ الحبل يهتز ... وكان واضحًا للأصدقاء أن «عاطف» يعود ... وفجأة قرب منتصف المسافة صاح «عاطف» صيحة قوية. وأصيب الأصدقاء جميعًا بالذعر لماذا يصرخ «عاطف»؟

لغز البئر

أخذ الأصدقاء يتحدثون في نفس واحد إلى «عاطف» الذي واصل الصعود. وعندما وصل إلى قمة البئر قال: إنَّ هذه البئر ليسَت مُخصَّصة بالمياه فقط. ونسي الأصدقاء عطشهم أمام حديث «عاطف» الذي مضى يقول: عند صعودي وأنا أستند إلى جدار البئر، فُوجئت بإحدى قدميَّ تغوص في جدار البئر ... كانت هناك فجوة كبيرة ... وقد سمعتُ لدهشتي الشديدة أصواتا بعيدة تصدر من الفجوة.

محب: وماذا تتصور أن يكون فيها؟

عاطف: لا أدري ... لعلَّه ممرٌّ سوف يُؤدِّي إلى مخبأ أو شيء من هذا القبيل.

تختخ: هذا هو الاستنتاج الوحيد.

وأخذ كل واحد من الأصدقاء يشرب بعض الماء فقالت نوسة: أخشى أن يكون هذا الماء مُسمَّمًا، فبعض الآبار تتسمَّم بمرور الوقت.

تختخ: لا تخافي ... فقد فكرت في هذه الفكرة ... ولو كان الماء سامًّا لما أخذ الرجل منه.

وشرب الأصدقاء ... وكان «زنجر» يقف بجوارهم مدليًا لسانه في انتظار نصيبه من الماء ... وأخذت «لوزة» تصبُّ بعض الماء في يد «نوسة» ليشرب «زنجر».

قال «تختخ»: تعالوا نأوي إلى أحد الكهوف ونُفكِّر هناك فيما سنفعل ... بدلًا من وقوفنا هنا معرَّضين لأن يرانا أحدهم.

عندما دخلوا جميعًا إلى الكهف قال «محب»: ما هي الأصوات التي سمعتها يا «عاطف» في الكهف؟

عاطف: لا أدري بالضبط ... إنها تُشبه أحاديث مختلفة ... وأشياء ثقيلة تقع أو تنقل ... وصوت أقدام ... ولكنَّني لست متأكدًا ... إن هذا كله مجرَّد صدى في الفجوة التي بجدار البئر.

تختخ: لقد قرَّرت أن أدخل الفجوة لأرى ما فيها.

محب: لا تدخل وحدك ... يجب أن يذهب معك أحدنا.

لوزة: يجب أن ندخل جميعًا!

تختخ: ولكن يا «لوزة» يجب أن نُقسم أنفسنا قسمين، قسم يدخل وقسم يبقى كما اعتدنا في المغامرات السابقة ... حتى إذا وقعت المجموعة الأولى عملت المجموعة الثانية على إنقاذها ... وعلى كل حالٍ فإن المجموعة الأولى لن تستمر طويلًا داخل الفتحة ... إن عليها أن تستكشفها وتعود.

عاطف: سأَذهب أنا و«محب»؛ فإنني أخشى أن ينقطع الحبل بك يا «تختخ» وأنت من الوزن الثقيل.

تختخ: لا مانع ... وخذا البطارية فستحتاجان إليها.

تسلل «محب» و«عاطف» إلى البئر، ووقف «تختخ» عند فتحة الكهف يرقبهما حتى نزل «عاطف» ثم نزل «محب».

انزلق الصديقان داخل الفتحة، وكانت مظلمة تمامًا، فأضاء «محب» البطارية وأطلق نورها. كانت الفتحة ممتدة من جدار البئر إلى داخل الجبل في انحدار واضح فأخذ الصديقان ينحدران في حذر. وبعد بضعة أمتار وجدا بابًا من القضبان الحديدية، مغلقًا من الخارج بترباس، أخذ «محب» يعالجه في حذر ... حتى لا يُصدِر صوتًا ... ولكن الترباس كان قديمًا فأخذ يحدث صريرًا حادًّا في جوف الفتحة، فيضاعفه الصدى.

ظل «محب» يُدير الترباس لحظات ثم يتوقف، حتى فتح الباب في النهاية ومر الصديقان ... بعد الباب مباشرة كان هناك سلم من الطوب متآكل وقديم، فقال «محب» هامسًا: إنه سرداب أثري، وإن كان الباب الحديدي مصنوعا منذ زمن قريب.

نزل الصديقان السلم بحذر ... وكان «محب» يضيء الطريق بالبطارية ووجدا في نهاية السلم ممرًّا يتجه يسارًا فدخلا، وواصَلا السير فترة ... وفجأةً سمعا أصوات حديثٍ واضح ... فاتجها ناحية الصوت على حذر ... حتى وصلا إلى طرف قاعة واسعة كان يقف فيها ثلاثة رجال يتحدَّثون ... وقد أحاطت بهم كميات من الجبس والجير والقوالب الخشبية، وصفَّت على جانبي الصالة قوالب من الجبس مختلفة الأحجام ... كان الرجال الثلاثة يفلقون القوالب في القش ... وقد انهمكوا في عملهم تمامًا ...

أخرج أحد الرجال علبة سجائر، فأخذ منها سيجارة ووضعها بجواره، فقال «محب» هامسًا: هل ترى؟ إنها علبة من نوع «كنت» ... ولا بدَّ أنه الرجل الغامض الذي كان يزور «موسى» و«عثمان» اللذَين يقفان هناك ... ولكن أين «جون كنت» إذا كان هؤلاء من أعوانه؟

عاطف: لا بدَّ أن هناك أماكن أخرى في هذا الكهف الكبير … ومن الأفضل أن نخرج الآن لنعود إلى بقية الأصدقاء ونُخبرهم بما رأينا …

عاد الصديقان مسرعَين إلى بقية الأصدقاء في الكهف … وروى «محب» ما رآه هناك فقالت «نوسة»: وهل تركتما الباب مفتوحًا؟

عاطف: لقد نسينا فعلًا أن نقفله!

لوزة: إذا اكتشف أفراد العصابة أنه مفتوح فسوف يعرفون أن هناك من يتبعهم … لهذا يجب أن نقفله فورًا.

تختخ: هناك شيء هام … لقد وجدتُم الباب مغلقًا من الخارج … وهذا يعني أن العصابة لم تدخل منه، بل هناك مدخل آخر … فهذا الكهف يشبه جحر الثعلب، له بابان ليتمكن من يدخله من الهرب إذا دخل عدو إلى جُحره … وما دام ترباس الباب كان صدئًا فمعنى هذا أنهم لا يستعملونه.

عاطف: وماذا تقصد بهذا؟

تختخ: أقصد أن في إمكاننا أن نستعمل هذا الباب دون خوف … وأن نبحث عن الباب الآخر.

نوسة: ولكن ماذا نفعل بعد ذلك … إننا لا نستطيع مهاجمة العصابة … فرجالها مسلَّحون.

تختخ: … إن كل ما علينا أن نعرفه هو هل «جون كنت» هنا أو لا …

محب: ولو عرفنا فماذا نفعل … إننا في هذا المكان منقطعون عن العالم ولا ندري كيف نتصرف.

كان تعليق «محب» هو الحقيقة … فحتى لو عرفوا مكان «جون كنت» فماذا يفعلون!

عاطف: لقد نسينا «عوض» إنه بالتأكيد سيبحث عنا!

تختخ: إن «عوض» سيبحث عنَّا طبعًا … ولكن أين يجدنا … إن شواطئ البحيرة واسعة … وسيقضي أيامًا طويلة في اللف عليها، وحتى لو لفَّ عليها كلها … فكيف يعثر علينا ونحن مختفون في الكهف لا نستطيع الخروج خوفًا من العصابة؟

فجأة قالت «لوزة»: هناك شيء آخر نسيناه … لقد حضر هؤلاء الرجال في قارب … ولا بد أن هذا القارب موجود في مكانٍ ما على الشاطئ … وعلينا أن نبحث عنه … إنه الوسيلة الوحيدة لإنقاذنا.

أحس الجميع بالتفاؤل … وصاحوا في نفس واحد: حقًّا … هذه هي الوسيلة، وعلينا البحث عن القارب.

تختخ: نَنقسم إلى مجموعتين ... مجموعة تدخل الكهف، ومجموعة تبحث عن القارب، إنَّنا الآن قرب مُنتصَف النهار ... وعلينا أن نعود إلى الاجتماع مرةً أخرى في نفس الكهف قرب غروب الشمس ... ولنكن جميعًا حَذِرين ... إن العصابة إذا عثرت علينا فلن تَرحمنا ... وبخاصة أنهم يشكُّون في وجود غرباء ... بعد أن شاهدوا الكلب.

ذهب «تختخ» و«محب» إلى الكهف ... وانطلق «عاطف» و«نوسة» و«لوزة» للبحث عن القارب على طول الشاطئ ... وأخذوا معهم «زنجر».

عندما انزلق «تختخ» على الحبل نازلًا أخذت العارضة الخشبية تهتز ... وكان «محب» يُراقب ما حوله ... وأحسَّ بالخوف من أن ينقطع الحبل ... أو تنكسر الخشبة ويسقط «تختخ» في البئر، ولكن لحسن الحظ ... استطاع «تختخ» أن يصل إلى الفتحة، وينزلق داخلها ... وتبعه «محب» سريعًا.

كان الباب مفتوحًا فدخَلا مُسرعَين ... وأخذا يَتقدمان على السلم حتى وصلا إلى الصالة الواسعة ... كانت مُضاءةً بالمشاعل ... ولكن لم يكن هناك أحد ... تسلَّلا إلى الصالة وأخذ «تختخ» يتأمَّل قوالب الجبس ويتحسَّسها ويدقُّ عليها، ثم قال لمحب: هذه القوالب ليسَت مُصمتة ... إنها مجوفة ولا بد أن شيئًا بداخلها.

وأمسك «تختخ» بأحد القوالب، واتجه به إلى السلَّم، وبهدوء أخذ يدقه حتى انكسر ... وكم كانت دهشة «محب» عندما وجد بداخله لفَّة من القش، وعندما أنزل «تختخ» القش وجد تمثالًا فرعونيًّا! فقال «تختخ» بلهجة خطيرة: إنَّ «جون كنت» هنا، ولا شك ... فهذا تمثال بالتأكيد من التماثيل الأثرية المسروقة التي قال المفتش إنَّ «كنت» يسعى إلى تهريبها ...

محب: ولكن كيف وصل «كنت» إلى هنا برغم الكمائن الموضوعة له على مداخل الطرق؟!

تختخ: هذا ما سنعرفه فيما بعد ... المهم الآن أن نُخفي هذا القالب تحت القوالب الأخرى حتى تطمئن العصابة أنَّ أحدًا لم يَكشِف سرَّها ... ثم نخرج وننتظر الأصدقاء.

محب: ألا نتقدَّم قليلًا لعلنا نكتشف شيئًا آخر؟

تختخ: هذا مُمكن أيضًا.

تقدم الصديقان عبر الصالة الواسعة ... حيث كان ثمة باب يُؤدِّي إلى دهليز طويل، فمشى الصديقان على حذر ... وبعد قليل سمعا حديثًا هامسًا، فقال «تختخ»: قف أنت هنا يا «محب» حتى أرى ماذا يدور في هذه الغرفة.

تقدم «تختخ» مقتربًا من الأصوات وأخذ ينصت ... كان أحدهم يقول: إن إصابتك ستعطلنا ... لقد أمضينا هنا وقتا طويلًا.

قال آخر: وهذا الكلب الذي شاهدناه ... ليس من المعقول أن يكون قد حضر وحده ... إن هناك غرباء حولنا ... وقد يكتشفون وجودنا.

وسمع «تختخ» صوتًا عميقًا آخر يقول: ليس لأحد أن يناقشني فيما أفعل ... سوف تتحسَّن حالتي بعد يوم أو اثنين ... ثم يأتي الأعرابي «سويلم» ليأخذَنا في القافلة.

قال الأول: ولكن متى يأتي «سويلم» هذا؟ ... إنني أسمع عنه ولا أراه ... قال صاحب الصوت العميق مُستهزئًا: ليس لك أن تسأل يا «موسى» ... إنك تُنفِّذ الأوامر ... وبعد أيام قليلة سنكون في روما ... حيث نقتسم الغنيمة، ويذهب كلٌّ منَّا في طريقه.

قال الثاني: ولكن هل نَذهب إلى «روما» مرةً أخرى؟ ... إن البوليس الإيطالي ... بل البوليس الدولي يَبحث عنَّا هناك.

عاد الصوت العميق الساخر إلى الحديث قائلًا: بالطبع؛ فإنَّ آخر ما يتصوَّره البوليس أن أكون في روما، وهذا ما يجعلني مُصممًا على الذهاب إلى هناك؛ لأنهم لن يتصوَّروا أبدًا أنني سأعود ... ولكن إيطاليا هي أقرب بلدٍ أوروبي إلى ليبيا ... وعندما نجتاز الحدود إلى ليبيا ستكون إيطاليا على بُعد ساعات قليلة منَّا ... وسأدخلها طبعًا باسم آخر، وجواز سفر آخر أيضًا.

تأكَّد «تختخ» أن صاحب الصوت هو «جون كنت» ولكن كيف وصل إلى هنا؟ ... ذلك سؤال لا يمكن الإجابة عنه إلا إذا ردَّ عليه «كنت» شخصيًّا!

عاد «تختخ» إلى «محب» وروى له بسرعة تفاصيل الحديث الذي سمعه، ثم عادا معًا وعبرا الممر المظلم إلى فوهة النفق التي تفتح في جدار البئر ... وكم كانت دهشتهما عندما لم يجدا الحبل مدلًّى كالمعتاد!

أضاء «تختخ» بطاريته وأخذ يبحث عن الحبل ... ولكن لم يكن هناك أثرٌ له ... قال «تختخ» لـ «محب»: يبدو أن أحد أفراد العصابة رفع الحبل إلى فوق ولم يُعِده إلى مكانه بسببٍ أو بدون سبب، ولكن المهم الآن أننا وقعنا في مأزق خطير ... فلن نستطيع الخروج من البئر، وطبعًا لا نستطيع العودة إلى الداخل؛ ففي كلِّ لحظة هناك خطر أن يرانا أحد أفراد العصابة.

لم يردَّ «محب». كان يحسُّ أنهم في موقف لا فكاك منه ... وقد عاودهم الجوع ... والجو بارد والنفق أكثر برودة ... وجلسا معًا في فوهة النفق صامتَين دون أمل في الإنقاذ.

اكتشاف مثير

في تلك الأثناء كان «عاطف» و«نوسة» و«لوزة» و«زنجر» يسيرون على الشاطئ يبحثون عن القارب، وبعد فترة من السير لاحظت «لوزة» على رمال الشاطئ بعضَ أعقاب السجائر فمدت يدها والتقطت واحدًا، وسألت «عاطف»: أهذا النوع من السجائر كنت؟

أمسك «عاطف» بعقب السيجارة وقرأ ما عليه، ثم قال: نعم ... هذا يعني أننا قريبون من مكان القارب، ولكن أين هو؟ ... إنَّ الشاطئ على امتدادِه فارغٌ لا أثر للقوارب فيه.

قالت «نوسة»: هل تلاحظُون أن الرمال هنا ليست مستوية ...؟ إنها ممسوحة بشدة كأنما جرى عليها شيء ثقيل.

عاطف: هل تقصدين أن القارب ...!

– نعم ... لقد سحبوا القارب بعيدًا عن الشاطئ حتى لا يراه أحد، لقد أخفوه في مكان ما هنا.

وتبع الأصدقاء آثار سحب القارب على الرمال، وعند منطقة خلف صخرة، وجدوا القارب وقد أخفي بمهارة، ابتسم الأصدقاء وقالت «نوسة»: لقد عثرنا على القارب، ولو كان «تختخ» و«محب» معنا لاستطعنا الآن أن نَهرُب فورًا ونُبلغ المفتش «سامي» بما وجدنا.

قالت «لوزة» وهي تنظر إلى الأرض وتفحصها بجوار القارب: إن ثمة شيء قد دُفن حديثًا؛ فالأرض مرتفعة قليلًا والرمال ليست مُستوية.

وبدأ الأصدقاء الثلاثة يحفرون، وبدَت تحت الرمال آثار قماش أبيض من الحرير، أخذ الأصدقاء يسحبونه شيئًا فشيئًا، وفي النهاية وجدوا أن القماش الأبيض ليس سوى مظلَّة مما يَستعملُه الطيارون في القفز من الطائرة!

قال «عاطف»: إنَّ هذا باراشوت، ولكن ما سبب وجوده هنا؟ هل قفز أحدهم من الطائرة مثلًا؟

نوسة: علينا أن نعيده إلى مكانه حتى لا يعرفوا بوجودنا. أعاد الأصدقاء «البراشوت» إلى مكانه، ثم انصرفوا عائدين من حيث أتوا، إلى الكهف.

وقالت «لوزة» وهم في الطريق: لا بد أن فتحة السرداب قريبة من هذا المكان وكان يجب البحث عنها.

عاطف: إننا في مكان مكشوف، وقد يرانا رجال العصابة في أية لحظة، ونقع في أيديهم، وأفضل طريقة أن نختفي في الكهف حتى يحضر «تختخ» و«محب» ونتفق على خطة.

وعاد الثلاثة إلى الكهف، وبعد وصولهم بلحظات قالت «لوزة»: أين زنجر؟ لقد اختفى مرةً أخرى.

نوسة: يبدو أنه لم يَعُد معنا، ولا بد أنه ذهب للبحث عن طعام آخر؛ فقد جعنا جميعًا.

وكان «تختخ» و«محب» جالسَين عند فوَّهة الممر المفتوحة على البئر، وقد أصابهما اليأس والبرد ... وبدأت الشمس تختفي خلف غيوم المساء وتغيب ... وليس هناك أي أمل في الإنقاذ ... قال «محب»: ماذا تتوقع يا «تختخ»؟ إننا لا نستطيع أن نَبقى هنا مدة أطول؛ فسوف نموت جوعًا وبردًا.

قال «تختخ»: لا أدري ماذا نفعل ... والأمل الوحيد إذا تأخرنا عن العودة إلى مكان الكهف أن يفكر «عاطف» و«نوسة» و«لوزة» في البحث عنَّا، فيحضروا إلى هنا ويَقذفوا لنا بالحبل، حتى نستطيع العودة مرةً أخرى.

محب: وإذا لم يحدث هذا؟

تختخ: لا أدري ... ولن يكون أمامنا إلا العودة إلى الكهف والوقوع في أيدي العصابة وليَحدُث ما يَحدُث.

مضى الوقت ببطء ... ولا شيء يحدث ... وفجأة أحسَّ الصديقان بأصوات خفيفة غامضة تأتي من النفق ... وزادت الأصوات وضوحًا ... شيئًا فشيئًا ... وقال «محب» هامسًا: إن أحدهم يقترب منَّا ... ماذا نفعل الآن؟

تختخ: لنبقَ ساكنَين في الظلام ... وننتظر ...

واقتربت الأصوات أكثر ... وفجأةً أحس «تختخ» بشيء بارد يلتصق بوجهه فأصيب بذعر، وأطلق صيحة فزع ... ولكنه اكتشف الحقيقة فورًا ... فلم يكن هذا الشيء اللزج البارد إلا أنف «زنجر» الصديق العزيز.

احتضَن «تختخ» «زنجر» في إعزاز قائلًا: إنه «زنجر» يا «محب» ... لقد استطاع أن يصل إلينا عن طريق الفتحة الأخرى.

محب: لقد عرف طريقها منذ الصباح عندما سرَق لنا الطعام ... ولكن كيف استطاع الدخول دون أن يُحسَّ به رجال العصابة؟

تختخ: لا بد أنه استطاع التسلل خلفهم دون أن يشعروا به ... لقد اشترك معنا «زنجر» في أكثر من مغامرة، وأصبح يفهم كيف يتجنَّب اللصوص، أو يُهاجمهم في الوقت المناسب.

محب: إن وجود «زنجر» فرصة للخروج من هذا المأزق ... فسوف يدلنا على طريق الباب لهذا الكهف المخيف ...

تختخ: إنني أُفضِّل أن ننتظر حلول الليل ... فبعد أن ينام رجال العصابة يمكن أن نتسلل ونخرج من النفق ... وسيدلنا «زنجر» على الطريق.

وهبط الليل واشتد البرد ... احتمى الصديقان في جسم «زنجر» الدافئ، و«تختخ» يفكر فيما يحدث لبقية الأصدقاء في هذا الليل والبرد ... وما أتموه من عمل في النهار.

قال «تختخ» بعد فترة: هيا بنا.

ثم ربَّت على ظهر «زنجر» قائلًا: والآن عليك أن تدلنا على الطريق ...

وفهم «زنجر» ما قيل له، وانطلق سائرًا وخلفه الصديقان ... نزلوا السلالم الحجرية ثم مروا بالصالة الواسعة. ثم بالممر الثاني ... كان كل شيء هادئًا، وبعض القناديل مضاءة ... وانحرف «زنجر» إلى غرفة مظلمة تمامًا ... فأضاء «تختخ» البطارية، وأخذ يديرها هنا وهناك ... واستطاع أن يرى بنادق رجال العصابة وقد تكومت في جانب ... ففكر لحظة ثم اقترب منها ودقق النظر، ولاحظ وجود مسدَّس كبير الحجم واسع الفوهة ... فلم يشكَّ لحظة أنه المسدس الذي تُطلَق به الإشارات الضوئية ... والذي يستعمل الخرطوش الكبير الذي عثروا عليه في «اللبدة»!

قال «تختخ»: علينا أن نأخذ هذه الأسلحة معنا ... وبخاصة هذا المسدس.

حمل «محب» بندقية والمسدس وبعض الخراطيش الكبيرة كطلب «تختخ» وحمل «تختخ» بندقيتين ... ثم عاودا المسير ... ولكن «زنجر» لم يتحرَّك، وأخذ يدس أنفه في أحد جوانب الغرفة ... وأدار «تختخ» ضوء البطارية ثم قال: «زنجر» معه حق ... إن هنا مخزنَ الطعام أيضًا ... ولا بد أن نأخذ معنا كمية منه ...

وحمل «تختخ» كمية من الخبز والجبن والبسطرمة ... وزجاجة من البلاستيك بها ماء ... ثم انطلق الثلاثة ... كان «زنجر» يسير في المقدمة ... وخلفه «تختخ» ثم «محب» ووجد الصديقان أنهما يسيران في دروب متعرجة حافلة بالأدوات والأطعمة المربوطة، ولو لم يكن معهما «زنجر» لتاها فيها، وأخيرًا انحرفا خلف «زنجر» ووقع ضوء البطارية على

فتحة السرداب ... وعندما خرجا وجدا أن الفتحة مُخفاة بمهارة خلف نباتات صحراوية كثيفة لا يُمكن لأحد أن يتصور أن تحتها بابًا ... وكان بجوار الباب صخرة ضخمة كان من الواضح أنها تستخدم في إغلاق الباب.

أسرع الصديقان ومعهما «زنجر» إلى الكهف الذي يختفي به الأصدقاء ... وكان «عاطف» و«نوسة» و«لوزة» في حالة يُرثى لها من الخوف والبرد والجوع. فما يكادوا يرون «تختخ» و«محب» حتى وقفوا في فرح، فقال «تختخ»: أرجو أن تشكروا «زنجر» ... إنه بطل هذه المغامرة كلها ... فلولاه لما استطعنا الخروج من الكهف السرِّي!

كان الطعام والماء مفاجأة ... ولكن «محب» أتحفهم بمفاجأة ثانية؛ فقد أحضر معه شمعة وجدها في الكهف فأشعلوها ووضعوها في النفق ... وعلى ضوء الشمعة تناولوا أشهى طعام في حياتهم. وكانت بجوارهم البنادق التي أحضرُوها والمسدَّس الذي يطلق الإشارات الضوئية. وشرح «تختخ» للأصدقاء مغامرته هو و«محب»، ثم قدم «عاطف» تقريرًا عما شاهدوه عن القارب والبراشوت.

قال «تختخ» بعد أن شرب كوبًا من الماء وأحسَّ بالراحة: لقد فهمتُ الآن كل شيءٍ. وعرفتُ كيف وصل «جون كنت» إلى هنا دون أن يَقَع في أيدي رجال الشرطة ... إن هذا المهرب الدولي خطير حقًّا ... وداهية لا يُشقُّ له غبار ...

أرهف الأصدقاء أسماعهم لـ «تختخ» وهو يوضح فكرته قائلًا: إن وجود البراشوت هنا يُوضِّح كل شيء ... لقد استطاع «كنت» بطريقةٍ لا أعرفها الآن أن يركب طائرة رش المبيدات ... ثم يهبط بالبراشوات في الصحراء.

نوسة: ولكن كيف يستطيع ذلك؟ إنَّ الناس جميعًا يمكنهم أن يُشاهدُوه في ضوء النهار ...

تختخ: معك حق ... ولكنه لم يصل بالنهار ... لقد وصل ليلًا ... ومنذ ليلتَين سمعت صوت الطائرة وهي تَطير ليلًا فلم أُصدِّق أذني ... وبخاصَّة أنَّ الهواء كان شديدًا في تلك الليلة، وقد استعمل أعوانُه مسدَّس الإشارات الضوئية لإرشاد الطائرة في الظلام، وهذا هو مسدس الإشارات الضوئية عثرنا عليه في الكهف السري ... لقد أحضر رجال العصابة التماثيل الفرعونية إلى الكهف ... ثم وضعوها في قوالب من الجبس حيث لا يشكُّ أحد فيها ... ثم جاء «كنت» ليَحمل هذه التماثيل ويهرب بها إلى الخارج ... بواسطة شخص يُدعى «سويلم»، عن طريق القوافل التي تقطع الصحراء وتصل إلى الحدود الليبية.

محب: إن علينا أن نهرب فورًا بالقارب ونعود إلى الشاطئ الآخر ونخبر المفتش «سامي» بما عرفناه وشاهدناه.

تختخ: نعم ... هيا بنا.

انطلق الأصدقاء إلى الشاطئ ... كان الهواء القادم عبر الصحراء يكاد يَحملُهم حملًا من الأرض ... ولكنهم في النهاية، وعلى ضوء البطارية، استطاعوا أن يصلُوا إلى مكان القارب.

وبدأ الأصدقاء يُحرِّكون القارب ... ولكن عبثًا حاولوا ... لقد كان القارب ثقيلًا ومن الصعب تحريكُه ... حاولوا مرة ... ومرة ... ومرات دون جدوى ... وأخيرًا توقفوا وقد لهثت أنفاسهم.

قال «محب»: لقد ضاع أمل العودة ... وعلينا أن نُفكِّر في حل آخر!

عاطف: ما رأيكم في مسدس الإشارات الضوئية؟

تختخ: وماذا يفعل المسدس؟

عاطف: إنني أتوقع أن يكون «عوض» قد أخبر المفتِّش «سامي» بغيابنا، ولعلَّ المفتش يبحث عنا الآن دون أن يهتديَ إلى مكاننا ... ولو أطلقنا بعض الإشارات فربما يراها!

فكر «تختخ» لحظات ثم قال: لا بأس ... هيا نجرب.

عاد الأصدقاء مرة أخرى إلى كهفهم وأمسك «تختخ» بالمسدَّس وأخذ يُحاول وضع الخرطوش فيه حتى استطاع ذلك في النهاية، ثم ذهبوا إلى الشاطئ، ورفع «تختخ» يده إلى فوق، وضغط على الزناد فانطلقت الخرطوشة من المسدس إلى السماء في سرعة خارقة وأضاءتها على ارتفاع كبير ... ثم أخذت تهبط وهي تَفرش المياه والشاطئ والصحراء بضوءٍ قويٍّ لامع!

انتظر «تختخ» فترةً أخرى ... ثم ملأ المسدس وأطلقه للمرة الثانية ... وبعد فترة أخرى أطلق الخرطوشة الثالثة، ثم قال: بقيَت خرطوشة واحدة ... فلنُبقِها بعض الوقت حتى نرى.

تكوَّم الأصدقاء بعضهم بجوار بعض، وبينهم «زنجر»، في محاولة لبعث الدفء في أجسامهم ... ومضت ساعة ... ثم ساعة أخرى، ودبَّ اليأس في قلوبهم، وقال «محب»: علينا أن نعود ونحمل البنادق ونحشوَها ... ثم نقتحم النفق ونجبر هؤلاء الرجال على شد القارب إلى المياه ثم نركب ونرحل.

تختخ: هذا مُمكِن ولكنه خطر ... وفي الوقت نفسه لا نستطيع أن نأخذهم معنا ... وطبعًا سوف يهربون، وقد يحضر «سويلم» الليلة أو صباحًا ويأخذهم معه ويختفون في الصحراء الواسعة حيث لا يعثر عليهم أحد.

قالت «لوزة»: جرب الخرطوشة الأخيرة يا «تختخ»؛ فإنني أكاد أتجمد من البرد.

حشا «تختخ» المسدس مرةً رابعة ... ورفع يده إلى فوق ثم أطلق الخرطوشة فارتفعت إلى السماء وأضاءتها وأخذت تهبط ببطءٍ وهي تُضيء ما حولها. والأصدقاء يُرسلون أنظارهم إلى المياه ... لعلَّ شيئًا يظهر.

من بعيد بدأ شيء أسود يتحرَّك في المياه ... وتصدر منه إشارات ضوئية قوية ... فأخرج «تختخ» بطاريته وأخذ يُحرِّكها في إشارات متقطعة.

وأحس الأصدقاء بالأمل يملأ صدورهم مرةً أخرى ... هل هذا قارب؟! وهل يبحث عنهم؟! وهل استطاع تحديد مكانهم! لقد كانت الدقائق التالية هي التي ستُحدِّد مصيرهم.

وسمع الأصدقاء من بعيد ... صوتًا تأتي به الريح ... صوت موتور يدور ... كان صوته في أسماعهم أحلى من أيِّ موسيقى ... لقد كان صوت الإنقاذ ... ولم يمضِ وقت طويل حتى ارتفع الصوت وبدأ «اللنش» الضخم يشق طريقه إليهم، و«تختخ» يستخدم بطاريته في إرشاده ... واللنش يطلق ضوءه القوي فيضيء الشاطئ.

أخيرًا رسا اللنش، وقفز رجال السواحل يَحملون مدافعهم الرشاشة ... وكم كانت المفاجأة مفرحة عندما شاهد الأصدقاء المفتش «سامي» يَجري إليهم ... فجرَوا إليه، وكان لقاءً عامرًا بالفرحة.

قال المفتش: ما الذي أتى بكم إلى هنا؟ لقد بحثنا عنكم في كلِّ مكانٍ بدون جدوى.

تختخ: وها أنتم هؤلاء قد وجدتمونا.

المفتش: إننا لم نكن نبحث عنكم فقط ... ولكن نبحث أيضًا عن طائرة رش المبيدات الحشرية المفقودة ...

تختخ: الطائرة مفقودة!

المفتش: نعم. لقد استطاع شخصٌ مجهول أن يدخل المطار خلسة ويركبها ويطير بها ليلًا. ويقول بعض الأشخاص إنهم سمعوها في هذه الأنحاء.

تختخ: في الأغلب أنَّ الطائرة سقطت في البحيرة ... ولكن خاطفها موجود الآن ... هل تتصور من هؤلاء!

المفتش: مَن؟

تختخ: «جون كنت» ...

المفتش: غير معقول!

تختخ: إنه يَرقُد الآن هو وأفراد العصابة في كهفٍ سرِّيٍّ نَعرف مكانه ... ومعهم ترقد التماثيل المسروقة!

المفتش: كيف عرفت كل هذا؟

تختخ: وأكثر من هذا ... وسوف أشرح لك كل شيء.

المفتش: إنهم مسلحون طبعًا.

تختخ: كانوا مسلحين ... أما الآن فنحن المسلَّحون ... لقد استطعت أخذ أسلحتهم وهم نيام.

المفتش: مُدهش! ... رائع!

ثم أصدر المفتش تعليماته إلى الرجال فأسرعوا يحيطون بمدخل الكهف، ثم نزل عدد منهم يتقدمهم المفتش و«زنجر» و«تختخ».

كان رجال العصابة يغطُّون في نوم عميق، حينما وقف الرجال المسلحون فوق رءوسهم. وكان «كنت» نائمًا وقد ربَط ساقه. فهمس «تختخ»: لقد سرق الطائرة ... وقفَز منها بالبراشوت في الصحراء، وترك الطائرة تهوى في البحيرة حيث لا يَعثُر عليها أحد ... ولكن يبدو أن قفزته لم تكن موفَّقة فكُسرت ساقُه ... وكان هذا من حسن حظنا ...

قال المفتش بصوت مرتفع: ولماذا تتحدث همسًا ... ارفع صوتك حتى يستيقظوا ...

وفتح «جون كنت» عينيه ونظر حوله وقد بدا عليه الذهول ... ثم استيقظ بقية أفراد العصابة ... وبينهم كان الرجل الغامض الذي كان يعمل وسيطًا بين «كنت» و«موسى» و«عثمان»، وكانت علبة السجاير «الكنت» تُطلُّ من جيبه.

لم يكن أمام رجال العصابة إلا الاستسلام ... فقادهم رجال السواحل إلى اللنش، وجلس «كنت» يَعترِف ... وهو لا يُصدِّق أنه وهو المهرب الدولي الذي دوَّخ رجال البوليس في العالم كله ... قد وقع في يد خمسة أولاد وكلب واحد!

وكان هذا الكلب الواحد «زنجر» يجلس وأمامه وجبة ساخنة يَستمِع إلى اعترافات «كنت» التي أيَّدت استنتاجات المغامرين الخمسة ... وكان «زنجر» يهزُّ ذيله كأنه يقول: وأنا أيضًا اشتركت.

فقال «تختخ» وهو يُربِّت على ظهره: إنك أنت البطل ...


هنداوي